الأرض المباركة

وصف القرآن الكريم بيت المقدس بالأرض المباركة في كثير من الآيات ، والحق سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن بركة هذه الأرض لم يخص مكاناً بعينه منها ، ولكن بركة الأرض تشمل المكان وما حوله .

وهذه البركة من الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض لوجود المسجد الأقصى فيها «البيت المقدس» فهو جزء من هذه الأرض ، بل واسطة عقدها ، وغرة جبينها .

وُصفت الأرض بالبركة في خمسة مواضع في القرآن الكريم .

١- في سورة الإسراء : في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (الإسراء: ١).

فلقد وصف الحق سبحانه وتعالى الأرض حول المسجد الأقصى بأنها مباركة ، والملاحظ هنا أن الله ﷻ قد تحدث عن المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد وصف الأرض حول المسجد الأقصى بأنها الأرض

المباركة ، بالرغم من ذكر المسجد الحرام ، وهو على شرفه لم يذكر معه البركة حوله .

وذلك لأن ذكر البركة مع المسجد الأقصى هنا هي للاهتمام بشأن المسجد الأقصى ، ولفت لأنظار الموحدين تجاه المسجد الأقصى ليعيش في قلوبهم ، حتى وإن بعد مكانه عنهم ، فيجب أن تكون له مكانة في قلوبهم ، فهو المسجد المبارك ، والذي أوجد البركة على هذه الأرض ، وهو السبب فيها ، فمن أجل بركته بارك الله سبحانه وتعالى في الأرض حوله .

٢- الموضع الثاني : في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء عندما دعا قومه لتوحيد الله عز وجل وهم لم يقبلوا منه ذلك ، فحطَّم أصنامهم لعلهم يعودون إلى رشدهم ، وتردهم الفطرة السليمة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم ، فتبعوا خطوات الشياطين في عداوة نبي الله إبراهيم عليه السلام ، فغلت قدور الحقد في صدورهم ، فأوقدوا النار لإحراق إبراهيم الموحد ، فأنجاه الله سبحانه وتعالى ، وهنا يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا

فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء:٧١)، وهنا يقول المفسرون: إنها بيت المقدس من أرض فلسطين .

فإلى هذه الأرض المباركة كانت نجاة إبراهيم عليه السلام ينعم فيها بالأمن والطمأنينة ، ولك أن تُعايش قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١) نجاة وبركة على هذه الأرض ، واستشعر ظلال الكلمتين معاً ، والمعنيين معاً «النجاة والبركة» يتحققان لإبراهيم على أرض بيت المقدس ، نعم إنها الأرض المباركة التي يطمئن عليها أهل التوحيد ، وتكتب لهم النجاة عليها .

٣- الموضع الثالث : في قصة نبي الله موسى عليه السلام بعد أن أنجاه الله سبحانه وتعالى هو وقومه من فرعون وجنوده .

حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾

(الأعراف:١٣٧) .

وهنا هذه الأرض المباركة لأهل التوحيد الذين صبروا على ظلم الفراعنة ، وهم الضعفاء ، وقبل ذلك كان يقتل أطفالهم

ويستحيي النساء ، ويعيش الرجال في ذل العبودية عند فرعون ، وينقل القرآن الكريم قول فرعون : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (الأعراف:١٢٧) .

هؤلاء المقهورون المغلوبون على أمورهم يُنجيهم الله سبحانه وتعالى من هذا القهر ، ومن أجل صبرهم يرثون - وهم أهل التوحيد - مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله سبحانه وتعالى فيها ، وهي بيت المقدس ، ولك أن تتخيل ضعف وظلم وقهر واستعباد ، ثم وراثة أرض مباركة . . . بما صبروا .

٤- الموضع الرابع : في قصة نبي الله سليمان عليه السلام ، وقد سخَّر الله سبحانه وتعالى له العديد من الجنود على هذه الأرض المباركة في هذا الملك الفريد،ومن بين ما سخَّره الله لسليمان عليه السلام الريح ، حيث يقول : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٨١).

الأرض مباركة والريح مأمور من نبي الله سليمان عليه السلام ، والله سبحانه وتعالى خص هذه الأرض المباركة بالذكر مع حركة الرياح العاصفة تأتيه بكل خير وهي من جنوده .

وقيل : إنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث يشاء سليمان ، ثم تعود به إلى الأرض المباركة[1].

٥- الموضع الخامس : في قصة سبأ ، وكيف منَّ الله سبحانه وتعالى عليهم بالمن والرغد من العيش ، ولكن أعرضوا عن توحيد الله ﷻ فأرسل عليهم سيل العرم ، وأبدلهم بالرغد من النعيم القليل من العيش ، حيث يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾

(سبأ:١٥-١٨) .

ويقول الطبري : عني بالقرى التي بورك فيها «بيت المقدس» ، وينقل عن ابن عباس ، الأرض التي باركنا فيها هي

---

(١) تفسير الطبري ، ٤٨١/١٨ .

«الأرض المقدسة»[1]، وكذلك ينقل عنه ابن كثير أنها «بيت المقدس»[2].

والملاحظ أن هذه الأرض وصفت في القرآن بأنها الأرض المباركة بلفظ مطلق، فقد بارك الحق سبحانه وتعالى في كل شيء في هذه الأرض، ولكن هذه البركة لأهل التوحيد، وإن كانت هذه الأرض قد وُصفت في التوراة في العديد من أسفار التوراة[3]، أنها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً أو تُدر لبناً وعسلاً، فهي بركة مادية وفقط وليست بركة مطلقة كما وصفت في القرآن الكريم، وكذلك وصفت هذه الأرض المقدسة بالبركة في الإنجيل ولكن في فترة زمنية محددة في عهد داود عليه السلام، وذلك في إنجيل مرقس في قوله: مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب[4]، فإن البركة هنا في عهد داود عليه السلام فقط على هذه الأرض.

---

(١) تفسير الطبري، ٢٠ / ٣٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦ / ٥٠٩.

(٣) سفر الخروج ٨/٣، ١٧/٣ سفر اللاويين ٢٤/٢٠، سفر العدد ٢٧/١٣. سفر التثنية ٣/٦، سفر يوشع ٦/٥، سفر أرميا ٥/١١، سفر حزقيال ١٥/٢٠.

(٤) إنجيل مرقس ١٠/١١..

ولكن القرآن الكريم وصف هذه الأرض بالبركة المطلقة ، فقد بارك الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض لأهل التوحيد ، التي باركنا فيها ، الذي باركنا حوله ، فهي ليست مقيدة بزمنٍ ولا بشخصٍ ولكنها مباركة لأهل التوحيد الذين يعيشون عليها.

والواقع المشاهد يشهد لهذه الأرض بذلك ، فقد بارك الله سبحانه وتعالى في شبابها ورجالها ونسائها وأطفالها ، هؤلاء الذين عصبوا رءوسهم بعصابة مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هؤلاء الذين حملوا أرواحهم على أكفهم ، وجادوا بدمائهم نصرة لدينهم وأرضهم ومقدساتهم .

هؤلاء الذين لم يتخلوا عن هذه الأرض فيروونها بدمائهم الطاهرة ، استشهدوا في سبيل الله لنصرة الأقصى وتحرير الأرض .

فعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء ، وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله ، وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟ قال : بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[1]. أليست هذه بركة

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٦٩ ، رقم ٢٢٣٧٤ ، الطبراني ٨/١٤٥ رقم ٨٦٤٣ .

في هؤلاء المرابطين على هذه الأرض ، أليس من هذه البركة أن تعيش الفلسطينية والإسرائيلية معاً على هذه الأرض ، وتكون البركة لأهل التوحيد ، حيث تكون أعلى نسبة إنجاب عند الفلسطينية ، وأعلى نسبة عقم عند اليهودية ، وهما يعيشان معاً على هذه الأرض ، ولكن البركة لمن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وانظروا إلى بركة الحجارة على هذه الأرض ، فهي حجارة مباركة تتفجر ناراً ونوراً على هذه الأرض ، فهي نار على اليهود ، ونور تقهر الظلام وتتحدى أعتى الدبابات ، وأحدث الأسلحة فتجعل اليهود يفرون من الموت إلى الانتحار[1]، وهم أحرص الناس على حياتهم .

نعم لقد بارك الله سبحانه وتعالى في هذه الحجارة ، والتي سوف تنطق يوماً وتُنادي على أهل التوحيد يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله[2].

---

(١) ففي عام ١٩٩٠ وحده انتحر ٥٤ جنديًا ، و ٦ من الضباط ، وعدد ٣ من القيادات العليا .

(٢) سوف أتحدث عن هذا الحديث ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الحديث عن مكانة بيت المقدس في السنة القولية لرسول الله ﷺ صـ ١١٩ .

إنها الأرض المباركة التي تحدث عنها القرآن الكريم عن أكثر عناصر الوجود عليها تحدث عن جبالها وعن أشجارها وحجارتها ، تحدث عن ترابها وأرضها ، تحدث عن محرابها ودوابها والطير في جوها ، والجن في قعرها .

* * *